© ٢٠١٥ مركز بحوث القرآن
جامعة ملايا، ماليزيا

قرآنيكا، مجلة عالمية لبحوث القرآن
عدد خاص (٧-ب)، ديسمبر ٢٠١٥م، ص١٦٥-١٨٠

الأقليَّات في القرآن: دراسة في المصطلح والمفاهيم(*)

آدَمَ بَمبا[١]

ملخص

استهدفت هذه الدِّراسة استجلاء لفظة "أقليَّة" مصطلحًا ومفهومًا في القرآن الكريم، وذلك لأهميَّة هذا المفهوم في الاجتماع الحديث، وفي علاقات الجماعات البشريَّة محليًّا ودُوَليًّا. عليه، فإنَّ الدِّراسة الحاليَّة قد انتهجت منهجًا وصفيًّا تحليليًّا لموارد الجذر [ق.ل.ل/ك.ث.ر]، ومن ثم استعراض المفردات المقاربة لما تدلُّ عليه (قليل) وصفًا لمجموعة من البشر، مثل: شِرْذِمة، وشيعة، وطائفة، وعُصْبَة.. بعد ذلك، عرضت هذه الدِّراسة لمواقف القرآن الكريم من علاقة الأقليَّة بالأكثريَّة؛ لتلمُّس ما يمكن أن يُستنبط من تلك المواقف من قواعد اجتماعيَّة ضابطة لعلاقات المجموعات البشريَّة، وقد تمَّ تحديد تلك الضَّوابط –باختصار– في خمسة، منها: أن الكثرة نعمةٌ ربَّانيَّة، وأن الصَّلاح هو المعيار لا القلَّة أو الكثرة.. وأخيرًا، استعرضت هذه الدِّراسة نماذج بشريَّةً أقليَّة في القرآن الكريم إيجابيَّة أو سلبيَّة. هذا، وقد خلُصت الدِّراسة إلى أنَّ هذا المصطلح –وإنْ لم يردْ في القرآن الكريم بالصِّيغة المعروفة "أقليَّة"، فإنَّه مفهومٌ واضحٌ جليٌّ في الاستعمال القرآنيِّ، له ضوابط إنسانيَّة سامية، تنظِّم علاقات الجماعات البشريَّة، وتحقِّق العدالة الشَّاملة.

كلمات دالَّة: أقليَّة، أكثريَّة، مستضعفين، مجموعات بشريَّة.

---

* How to cite this article: Bamba Adama. (2015). "Al-Aqaliyyāt fī al-Qur'ān: Dirāsah fī al-muṣṭalaḥ wa al-mafāhīm", QURANICA Special Issue 7b, 165-180.

[١] محاضر أقدَم، قسم التربية الإسلامية، أكاديمية الدراسات الإسلامية، جامعة ملايا –كوالالمبور، bamba@um.edu.my

مقدمة

إنَّ "الأقليَّة" (*minority*) ومقابلها "الأكثريَّة" (*majority*)، —بوصفها مصطلحًا ومفهومًا– هي حديثةُ الظُّهور بسبب تقارُب المجتمعات الحديثة،[١] ونشوء الدُّول القطريَّة التي تضُمُّ أطيافًا اجتماعيَّةً متعدِّدةً في معظم الأحيان؛ لذلك، فإنَّ تعريفات "الأقليَّة" قد اصطَبَغَتْ بظلال هذا الوضع الحديث الذي تمخَّض عن هذا المصطلح.

على سبيل المثال، فإنَّ من التَّعريفات التي تنظر إلى الأقليَّة في إطار الدَّولة الحديثة، تعريف الكيالي، وهو: "مجموعةٌ من سُكَّان قُطرٍ أو إقليمٍ أو دولةٍ مَّا تخالف الأغلبيَّة في الانتماء العِرقيِّ، أو اللُّغويِّ، أو الدِّيني، دون أن يعني ذلك بالضَّرورة موقفًا سياسيًّا متميِّزًا".[٢] قريبٌ من ذلك تعريف العمري للأقليَّة بأنَّها: "جماعةٌ من السُّكان من شعبٍ معيَّنٍ عددُهمْ أقلُّ من بقيَّة السُّكان، لهم ثقافتُهُم، ولغتُهمْ، ودينُهُم، ويُطالبُون بالمحافظة على شخصيَّتهم وثقافتهم على أساسِ نظامٍ معيَّن".[٣] فزاد مطالبةَ الأقليَّةِ بالمحافظة على هويَّتها. ومثل ذلك تعريف العلاَّمة القرضاوي للأقليَّة بأنَّها.. "كلُّ مجموعةٍ بشريَّة في قُطرٍ من الأقطار، تتميَّزُ عن أكثريَّة أهله في الدِّين، أو المذهب، أو العِرْق، أو اللُّغة أو نحو ذلك من الأساسيَّات التي تتمايَزُ بها المجموعات البَشريَّة بعضُها عن بعض".[٤]

خلافًا للتَّعريفات السَّابقة، فقد مالَتْ تعريفاتٌ أخرى إلى تغليب علاقة التَّدافُع بين المجموعة الأقليَّة والأكثريَّة، والعلاقة هنا علاقةٌ سلبيَّة، تمثِّل الأقليَّة فيها الجانب الأضْعَف، ولا يعني —بالضَّرورة– أن تكون المجموعتان مشتَرِكَتَين في مواطنة دَوْلَةٍ واحدة، ويدخل في ذلك المهاجرون، والمجموعات الإثنيَّة في طور الاحتواء من لدُنْ المجموعات الكبرى، ومن الباحثين المرتبطة أسماؤهم بهذه النَّظريَّة: Rober E. Park, E. W. Burgess, M. Fredman, Milton Gordon etc. وغيرهم من الباحثين الاجتماعيِّين.[٥]

---

[1] Brent, Edward E. and J. Scott Lewis. (2013). *Learn Sociology*. Jones & Bartlett Publishers, 348.

[٢] الكيالي، عبد الوهاب، وآخرون. (١٩٨٥م). موسوعة السياسة. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١/٢٤٤.

[٣] العمري، أحمد سويلم. (١٩٨٥م). معجم العلوم السياسية الميسر. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص٢٨.

[٤] القرضاوي، يوسف. (٢٠١٠م). في فقه الأقليات المسلمة. القاهرة: دار الشروق، ص١٥.

[٥] Subber Wal. (2009). *Dictionary of Sociology*, Tata McGraw-Hill Education, A21.

على ذلك، فإنَّ الاضطهاد هو المعيار هنا، ومن التَّعريفات المختصرة في ذلك، أنَّ الأقليَّة: "مجموعةٌ من النَّاس، مميَّزةٌ عن بقيَّة أفراد المجتمع؛ بسبب خصائصها الجسميَّة، أو الثَّقافيَّة، وتُعامل معاملةً غير متساوية".[1] تعريفٌ آخر للباحث كريغْ وهو أنَّ الأقليَّة: "مجموعةٌ اجتماعيَّة، أو طبقةٌ من النَّاس مُضْطَهدةٌ، تعاني من تمييزٍ ضدَّها، بناءً على هويَّتها"، ثم أشار إلى أنَّ المصطلح يُستخدَمُ عادةً بتوافُقٍ مع كون المجموعة قليلةَ العدد بالنِّسبة للأكثريَّة الثَّقافيَّة أو العرقيَّة المهَيْمنة، وأنَّها تشمل جميع المجموعات التي تعاني من عدم تكافُئٍ في القوَّة، أو التي تعاني من معاملةٍ غير متساوِيَةٍ، مثل النِّساء، فهنَّ أكثرُ عددًا في كثيرٍ من المجتمعات؛ لكنَّهن يعانِينَ من معاملةٍ غير عادلة.[2]

تعريفاتٌ أخرى لا تعير الاعتبار العدديَّ أو التَّمايُزات الإثنيَّة أو الدِّينيَّة أو اللُّغويَّة اهتمامًا كبيرًا. بل ترى المعيار العدَديَّ –بالذَّات– محدِّدًا فضفاضًا مضلِّلاً، والاعتبار في تلك التَّعريفات بمعيار القوَّة والتَّكافؤ (*power and equality*)، ومن التَّعريفات القائمة على هذا الاعتبار، أنَّ الأقليَّات هي: "أيَّةُ مجموعةٍ قد أُلجئتْ تاريخيًّا إلى حالةٍ غير متساويةٍ مع المجموعة المهَيْمنة، بصرْف النَّظر عن التَّمايُزات الثَّقافيَّة والعِرْقيَّة"،[3] وهذا التَّعريف –بالذَّات– يطمح إلى إدراج الأقليَّة القائمة على الجنس، مثل النِّساء، ولكنَّه –في الوقت نفسه– لا يَسْلَمُ من الاستغلال والتَّوظيف النَّفعي، خاصَّةً في المجال السِّياسيِّ؛ حيث تتَّخذه المجموعات التي تصرُّ على أنْ تُتَّصف بأنَّها مضطَهَدَةً –تاريخيًّا– لكسب المزيد من المزايا الاجتماعيَّة وغيرها.

مثل هذا التَّعريف أيضًا، تعريف علماء الاجتماع للأقليَّة بأنَّها: "مجموعةٌ من الأفراد يصنِّفه المجتمعُ تصنيفًا تمييزيًّا، وتُعَامِلُها معاملَةً قاصرةً؛ بناءً على مميِّزاتٍ وقواسِمَ مشتركةٍ تميِّزها عن بقيَّة المجتمع".[4] وقد يتوسَّع نطاقُ التَّمييز إلى العزلة الماديَّة للمجموعة الأقليَّة، ويُعرف ذلك بـ"*segragation*" (الانعزال)، خاصَّةً إذا كان ذلك بفعلٍ من المجموعة المهَيْمنة، كما كان في الكنائس المسيحيَّة التي تفصلُ بين السُّود

---

[1] Niomi, Lawman. (2005). *Sociology*, Lotus Press, 118.

[2] Craig, Calhoun, et al. (1997). *Dictionary of the Social Science*, McGraw-Hill, 312.

[3] Skutsch, Carl. (2005). *Encyclopedia of word's Minorities,* Routledge, xxiv.

[4] Edward, Brent, Op. Cit., 348.

وبين البيض في طقوس القداس داخل الكنائس، وفي بعض البلدان التي تخصِّصُ أحياء معيَّنةً لمجموعاتٍ إثنيَّة أو دينيَّة، وتُعرف بـ"ghetto" غيتو.

إنَّ التَّعريفات السَّابقة وأمثالها تثير إشكالاتٍ عدَّة، وترشِّح لتعقيداتٍ أكثر ممَّا توفِّر من حلول. على سبيل المثال، إنَّ معيار القلَّة العدديَّة يغدو أكثر تضليلاً في حال تداخُلها بالسِّياسيِّ، فهناك أقليَّاتٌ قد تصل إلى ١% لكنَّها تَسْتَحْوِذُ –بشكلٍ طاغٍ– على الموارد الاقتصاديَّة، ومراكز الحكم والسِّياسة، وربَّما في الثَّقافة أو غيرها. وقد تحكم هذه الأقليَّةُ مجموعةً أكثريَّةً أو مجموعاتٍ أقليَّةً أخرى، تكوِّنُ هي –بمجموعها– الأكثريَّة.[١] وفي تلك الحال يأتي مفهوم "*Minority Rule*" أي: حُكْم الأقليَّة، ويكثر هذا النَّموذج من حُكم الأقليَّة في المستعمرات السَّابقة لأوربا في إفريقيا وآسيا وأمريكا اللاَّتينيَّة. كذلك، في الولايات المتَّحدة الأمريكيَّة، فإنَّ تحكُّم الأقليَّة السَّاكسونيَّة (While Anglo-Saxon Protestant, WASP) ظاهرةٌ.[٢] وكما الحال عند الكيان الصُّهيونيِّ، ونظام حُكم الأبارتهيد (التَّفرقة العنصريَّة) بجنوب إفريقيا.[٣] كذلك، فإنَّ محدِّدات الإثنيَّة من لغةٍ ودين، ومهنة وغيرها غير ثابتةٍ؛ لقابليَّتها للتَّغيير والاختيار.

الحاصل، أنَّ الباحثين شبه مُجْمعين على أنَّ من أهمِّ إشكالات تعريفات "الأقليَّة"، هو غياب تعريفٍ مُجْمَعٍ عليه في هذا المجال، وأنَّ ذلك يعود إلى عدم تحديد مكوِّنات وخصائص المجموعات التي توصف بـ"أقليَّة". فهل تعدُّ مجموعات "الشَّواذ جنسيًّا"، و"المثليِّين"، و"الجماعات الدِّينيَّة الحديثة" (New Religious Movements, NRM)، وغيرهم، على قَدَم مُساواة بالمجموعات الأقليَّة من السِّياسيِّين، والدِّينيِّين، والأفرو–الأمريكانْ، والهنود الأمريكانْ، والنِّساء، والمعاقين؟[٤]

للخروج من إشكالات التَّعريفات الحدِّيَّة السَّابقة وأمثالها، فقد حاول بعضُهم رصد خصَائِصَ تُعتَبر معيارًا لاعتبار المجموعة "أقليَّة" أو عدم اعتبارها كذلك. والخصائص الموضوعة هنا:[٥]

---

[١] Oystein, Bohler. (2013). *Ethnic Minority Rule and Prospects for Violent Conflicts,* M.A Thesis, Dep. Of Comparative Politics, Faculty of Social Sciences, University of Bergen. 3.

[2] Cashmore, Ellis. *Encyclopedia of Race and Ethnic Studies,* Routledge.

[3] Skutsch, Carl, *Op. Cit.*, xxiii.

[4] Rhona, smith, *Textbook on International Human Rights,* Oxford University Press, 349.

[5] *Ibid.,* 290.

أوَّلا: أنْ تشترك أفرادُ المجموعةِ في واحدٍ أو أكثر من الأمور الآتية: أ) التَّاريخ الموروث، ب) الهويَّة الإثنيَّة أو العرقيَّة، ج) الوحدة الثَّقافيَّة، د) الوحدة اللُّغويَّة، هـ) الوحدة الدِّينيَّة أو الأيديولوجيَّة، هـ) وحدة الأرض، و) الوحدة الاقتصاديَّة.

ثانيًا: بعد الاشتراك في واحدٍ من الأمور السَّابقة، يُشْتَرط أن تكون المجموعة ذات أقليَّةٍ عدَديَّةٍ مقارنةً بمن يشاركونهم في دوْلةٍ وطنيَّة.

ثالثًا: الرَّغبة في التَّميُّز والوعي بالتَّوحُّد والاستقلال.

رابعًا: وجود مؤسَّسات —من أيِّ نوعٍ، اجتماعيَّة أو سياسيَّة– للتَّعبير عن الهويَّة والرَّغبة في التَّميُّز.

هنا أيضًا، يشترط بعضهم القلَّة العدديَّة، كالباحث كابوتورْتي.[1] أمَّا عامَّة الذين ينزعون إلى هذا المنحى، فلا يشترطون القلَّة العدَديَّة.[2] على كلِّ حالٍ، فإنَّ مصطلح "الأقليَّة" على الرُّغم من انتشاره وتداوُله في الدِّراسات الاجتماعيَّة، سوف يظلُّ محفوفًا بالغموض، ولرهانات أطماع مُسْتَخدِمِيه في المجالات المختلفة؛ لذلك لا بدَّ من استجلاء هذا المفهوم في ظلال الهَدْي القرآنيِّ؛ حفاظًا له من التَّسيُّب وعدم الانضباط.

٢ – مفهوم الأقليَّات ومصطلحاتها القرآنيَّة

بوصف "الأقليَّة" مصطلحًا ومفهومًا حديثًا، فإنَّ هذا المصطلح —بطبيعة الحال– غير واردٍ في القرآن الكريم، ولا في مصدريَّات الشَّريعة الإسلاميَّة، وقُصارى ما وردَ من ذلك، ألفاظٌ مشتقَّةٌ من مادة [ق.ل.ل] ومقابلها [ك.ث.ر]؛ صفةً لمجموعاتٍ بشريَّة واردةٍ في القرآن الكريم، وكذلك مصطلحات أخرى تشير إلى المعنى نفسه. ولعلَّ أقرَبَ موضعٍ في التَّنْزيل الحكيم في دلالة المصطلح على المجموعة الأقليَّة، قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ﴾ (الأعراف:٨٦)، وقوله: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ﴾ (الأنفال:٢٦). وذلك باستخدام صفة "قليل"

---

[1] Capotorti, Freancesco. (1991). *Study on the Rights of Persons Belonging to Ethnic, Religious, and Linguistic Minorities*, UN, 568.

[2] Minority rights Group Int (ed), (1989). *World Directory of Minorities*, Longman, xv.

للمخاطَبين، وكذلك وصف المجموعة في الآية الأخرى بـ"مُسْتَضْعَفين"، وهو استخدامٌ صريحٌ لمفهوم الأقليَّة في القرآن الكريم.

٢–١ مصطلحات مُقاربة للأقليَّة

وردت عدَّة مصطلحاتٍ في القرآن الكريم؛ للدِّلالة على مفهوم الأقليَّة، وفيما يأتي استعراضٌ لبعضها:

أ) لفظ "شِرذِمة": الشِّرذمة القليل أو القطعة من الشَّيء، يقال: ثيابٌ شراذِمٌ، أي: متقطِّعة، ويُطلَق على الجماعة القليلة من النَّاس،[١] وهي من الكلمات المفردة في القرآن الكريم،[٢] قال تعالى على لسان فرعون عند إشارته إلى موسى والمؤمنين معه: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ﴾ (الشعراء:٥٤)، ففي إشارة فرعون إلى الأقليَّة الدِّينيَّة بـ"قليلون" إيغالٌ في استخفافه بهم.

ب) لفظ "شيعة": بمعنى: جماعة، وقد وردت اشتقاقاتها في القرآن الكريم سبع مرَّات،[٣] لكنَّ ورودها على صيغة جمع التَّكسير للقلَّة (فِعَل)، قد أَقْحَمَ معناها إلى الجماعات الصَّغيرة المتفرِّقة، يقول المولى –سبحانه– عن فِعْل فرعون ببني إسرائيل: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ (القصص:٤). وقد وردَ "شِيَعًا" في أربعة مواضع؛ لكنَّ ثلاثةً منها هي التي تدلُّ على الجماعات الصَّغيرة المتفرِّقة، وفي إشارة القرآن إلى أنَّ فرعون "يَسْتَضْعِف" طائفةً من أهل أرضه، تأكيدٌ لمعنى الأقليَّة في الآية.

---

[١] نعمة، علي حيدر، ونعمة، أحمد علي. (٢٠١٣م). المعجم القرآني. بغداد: مطبعة السيماء، ٤٣٤/٢.

[٢] يُراد بـ"الكلمات المفردة" التي جاءت مرَّة واحدةً فحسب في القرآن الكريم، ويختلف هذا عن مصطلح "أفراد كلمات القرآن"، وهي الكلمات التي جاءت بمعنى واحد، بمقابل الكلمات التي تعدَّدت معانيها في القرآن الكريم، وقد عدَّها الرازي (أبو الحسين أحمد بن فارس، ت٣٩٥هـ)، في أربع وثلاثين لفظةً. ينظر: الرازي، أبو الحسين أحمد بن فارس. (١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م). أفراد كلمات القرآن. تحقيق: حاتم صالح الضامن. دمشق: دار البشائر.

[٣] وردت اشتقاقات [ش. ي. ع] اسمًا في سبع مواضع هي: شيعة: مريم:٦٩؛ شيعتِه: القصص:١٥؛ ١٥؛ الصافات:٨٣؛ شِيَع: الحجر:١٠؛ شيَعا: الأنعام:٦٥؛ ١٥٩؛ القصص:٤؛ الروم:٣٢؛ أشياعَكم: القمر:٥١؛ بأشياعهم: سبأ:٥٤. ووردت بصيغة الفعل المضارع المنصوب (نَشيعَ) مرَّة واحدة في القرآن الكريم، وهي: النور:١٩.

ج) لفظ "ضعفاء/مُسْتَضعَفون": ورد هذان اللَّفظان صفةً من صفات الأقليَّة الأساسيَّة، في ثمانية مواضع في القرآن الكريم،[١] أربعةٌ للأوَّل (ضُعفاء)، وأربعةٌ أخرى للمستَضْعَفين في سورتَين. إحداها قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (الأنفال:٢٦)، والمرَّات الأخرى الثَّلاث في: سورة النِّساء.[٢]

وفي التَّعبير القرآنيِّ، فإنَّ المصطلح المقابل للمستضْعَفين هو "المستَكبرين" ويُشار به إلى الأقليَّة/الأكثريَّة القويَّة الطَّاغية المهَيْمنة على الضَّعيفة، وهو يحمل دائمًا معنًى سلبيًّا يشير إلى مفهوم حكم الأقليَّة السَّابق ذكره. هذا، وقد وردت اشتقاقاتُ [ك.ب.ر] على وزن "اسْتَفْعل" الدَّال على الطَّلب والإرادة، في (٤٢) موضعًا؛[٣] لكنَّ تلك المواضع لا تدلُّ على مقابل "مُستضْعَفين"، إلاَّ إذا ورد المصطلحان في سياقٍ واحد، أو في سياقٍ واضحٍ على أنَّ "المستكبرين" هم مجموعةٌ طاغية (الأعراف:٨٨ مثلا).

د) لفظ "طائفة": وردت اشتقاقات "طائفة" الدَّال على الجماعة في القرآن الكريم أربعًا وعشرين مرَّة: عشرون منها بالمفرد،[٤] واثنتان بالمثنَّى المرفوع (طائفتان)، واثنتان أخْرَيان بالمثنَّى المجرور (طائفَتَين).[٥] ولعلَّ

---

[١] مواضع ورود "مستضعفين" الثمانية، هي: الأعراف:٧٥؛ ٧٦؛ ٨٨؛ إبراهيم:٢١؛ سبأ:٣١؛ ٣٢؛ غافر: ٤٧؛٤٨.

[٢] المرات الثَّلاث هي: قوله تعالى: {وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا} (آية:٧٥)، وقوله: {إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ} (٩٧)، وقوله{إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا} (٩٨)، وقوله: {وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ} (١٢٧).

[٣] تلك المواضع على النَّحو الآتي: استكبَرَ (٤)؛ استكبَرْتَ، أسْتَكبرتَ (١)؛ استكبرتُم (٣)؛ استكبَروا (٢٠)؛ يستكبرون (٧)؛ استكبارا؛ مُستكبرا؛ مستكبرون؛ مستَكبِرين (٢). ينظر: عبد الباقي، فؤاد. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، ص٥٨٩.

[٤] مواضع ورود (طائفة) بالمفرد مرفوعا، ومنصوبا، ومجرورا، هي: آل عمران:٦٩؛ ٧٢؛ ١٥٤؛ ١٥٤؛ النساء:٨١؛ ١٠٢؛ ١٠٢؛ ١١٣؛ الأعراف:٨٧؛ ٨٧؛ التوبة:٦٦؛ ٦٦؛ ٨٣؛ ١٢٢؛ النور:٢؛ القصص:٤؛ الأحزاب:١٣؛ الصف:١٤؛ ١٤؛ المزمل:٢٠.

[٥] المواضع هي: طائفتان: آل عمران:١٢٢؛ والحجرات:٩؛ وطائفَتَين: الأنعام:١٥٦؛ والأنفال:٧.

أجلى موضعٍ في دلالة "طائفة" على الأقليَّة، الآية التي سبق ذِكْرُها تحت فقرة "شيعة"، وفيها ﴿يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ﴾ (القصص:٤).

لفظ "عُصبة": وردت كلمة "عُصْبة" في القرآن الكريم في أربعة مواضع،[١] دالَّةً على الجماعة، والظَّاهر – والله أعلم– أنَّ دلالتها على الجماعة بمقابل جماعةٍ أخرى، أو فردٍ يمثِّل أقليَّة، واردةٌ في موضِعَين، أولاهما ما ورد على لسان إخوة يوسف، وهو قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾ (يوسف:٨)؛ فهُم ههنا يقارنون أنفسَهُم بوصفهم "أكثريَّة" بمقابل يوسف؛ بوصفه "أقليَّة". والموضع الآخر قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ﴾، وهي دالة هنا على "أقليَّة" من المؤمنين بمقابل الأكثريَّة التي لم تَخُضْ في حديث الإفك. بناءً على ذلك، نستخلصُ أنَّ "العصبة" قد دلَّت على الأكثريَّة وعلى الأقليَّة باعتبار السِّياق.

هـ) لفظ "مُترفون": ورد هذا اللَّفظ اسم مفعولٍ خمس مرَّاتٍ في القرآن الكريم،[٢] من ذلك قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ﴾ (الزخرف:٢٣)، أي: مُتنعِّموها ورؤساؤها،[٣] وبهذ المعنى يكون المترفون هنا هم النُّخبة الحاكمة (elites)، وهي في التَّعريف الاجتماعيِّ أقليَّةٌ، ولكنَّها ذات قوَّة واستحْواذٍ على الأكثريَّة. وهي في الاستعمال القرآنيِّ ذات معنًى سلبيٍّ، مثل "المستكبرين" المتقدِّم.

الخلاصة هنا، أنَّ التَّنزيل الحكيم قد عبَّر عن مفهوم "الأقليَّة" الاجتماعيَّة بمصطلحاتٍ عدَّة، مثل: شِرْذمة، وشيعة، وطائفة، وعُصْبَة. وبعد استعراض تلك المصطلحات يجدر الانتقالُ إلى بعض المعايير والخصائص التي وضعها القرآنُ من أجل فهمٍ أمثل لقضيَّة الأقليَّة.

---

[١] المواضع الأربعة هي: يوسف:٨؛ ١٤؛ النور:١١؛ القصص:٧٦.

[٢] موارد "مترف"، هي: مُترفوها: سبأ:٣٤؛ الزخرف:٢٣؛ مُتْرَفين: الواقعة:٤٥؛ مُترفيها: الإسراء:١٦؛ مُترفيهم: المؤمنون:٦٤.

[٣] المنصوري، مصطفى الخيري. (٢٠١١م). المقتطف من عيون التفاسير، تحقيق: علي الصابوني. مصر: دار السلام للطباعة والنشر، ص٣٠٤.

٣– مفاهيم عن الأقليَّة والأكثريَّة

لقد أورد التَّنزيل الحكيم مفاهيم واضحةً جليَّةً عن الأقليَّة والأكثريَّة، تضبط الكثير من مواطن التَّخبُّط والخلاف الدَّائر بين المنظِّرين في هذا المجال. كما سبقت الإشارة إليه في عدم توصُّل الباحثين إلى تعريف الأقليَّة. وههنا بعض تلك المفاهيم عن الأقليَّة والأكثريَّة.

٣– ١ الكثرة نعمةٌ ربَّانية

امتنَّ المولى —سبحانه– في مواضع من القرآن الكريم، على عباده بنعمة تكثيرهم بعد قلَّة؛ إذ بالكثرة تأتي القوَّة والمَكَنة، ومن ذلك امتنانُهُ على قوم شُعيب، وتذكيره إيَّاهم بعهد قلَّتهم. قال تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ وَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ (الأعراف:٨٦)، وذكَّر أصحاب النَّبي (ص) بعهد ضَعْفهم، ونصر الله إيَّاهم. قال تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (الأنفال:٢٦). وفي وصيَّة نوح (عليه السَّلام) لقومه إشارةٌ إلى أنَّ الكثرة من أنْعُم المولى على عباد.. ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾ (نوح:١٠–١٢)، وفي إخبار المولى لبني إسرائيل بتكثيرهم. قال تعالى: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾ (الإسراء:٦)، وذلك بالتَّنصيص على "البنين" بوصفهم نعمةً قوميَّةً، ومصدر قوَّةٍ، والسِّياق هنا سياقٌ جماعيٌّ لقوم نوح ولبني إسرائيل، أكثر منه سياقًا للأفراد الجماعتَين: قوم نوح، وبني إسرائيل.

٣–٢ الصَّلاح هو المعيار لا الكثرة أو القلَّة

لا عِبْرةَ بالكثرة العدديَّة أو القلَّة إلاَّ إذا وافق ذلك الحقَّ والصَّواب، وكان الكثيرُ أو القليلُ صالحًا ملتزمًا بما أوْدَعَهُ المولى في الكون من قوانين، وفي تأكيد هذا المعنى يقول التَّنزيلُ الحكيم: ﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ﴾ (المائدة:١٠٠). فالكثْرةُ قد تكون شكلاً مضلِّلاً بَهْرَجًا، وقد يكون الواحدُ على الحقِّ والصَّواب، والجماعة على الباطل، والعكس صحيحٌ. وقد وقع المسلمون في خطأ العُجْب بالكثرة يوم غزوة حُنَين؛ فكانت الهزيمة. قال تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ

إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ﴾ (التوبة:٢٥). فالكثرة قد تُعجب، ولكنَّها في الحقيقة لا تحمل مُقوِّمات القوَّة، ولا تعني –بالضَّرورة– أنَّها الأصْلَح.

انطلاقًا من هذا المبدأ، يذهب الكاتب البنا وغيرُهُ إلى نقد الفكر الدِّيمقراطيِّ النَّازع إلى "عبادة الأكثريَّة"؛ بصرف النَّظر عمَّا إذا كانت صالحةً أم غير صالحة. يقول: "إنَّ القرآن يشجبُ المبدأ الدِّيمقراطيَّ –حكم الأغلبيَّة– إذا خالفَ نصًّا قرآنيًّا صريحًا وجليًّا (...) ويمكن ضرب المثَل على ذلك بالحريَّة التي يمنحُها الإسلامُ للأقليَّات التي لا تدين بالإسلام في مجتمعٍ إسلاميٍّ. فهو يحملها (كذا في الأصل، والأوْجَه: يحميها) من افْتيات (افتئات) المؤمنين، ويحصن أموالها وحقوقَها في العبادة والزَّواج والطَّلاقِ والميراث، إلخ... من قرارات الأغلبيَّة المسلمة، أو من نصوص القانون".[١] بالإجمال، فإنَّ الكثير أو القليل، لا يؤخذ بأيٍّ منهما ولا يُبَذُ إلاَّ إذا وُزِنَ بمعيار الصَّلاح والحقِّ.

٣–٣ القلَّة العدديَّة ليست معوِّقا

ينبِّه القرآن الكريم على أنَّ القلَّة العدديَّة ليست مُعوِّقًا في حدِّ ذاتها؛ وأنَّ العبرة بنصر الله للأقليَّة، مشروطًا بمقدِّماتٍ من الأقليَّة نفسها، منها: الصَّبر والثَّبات، ومنها عدم الاعتداد بالنَّفس بناءً على القوَّة أو العَدَد، أو غير ذلك من المعايير الظَّاهرة للغلبة، ففي اشتراط الصَّبر، وعد الله المؤمنين القليلين في العدد (١٠%) بالنَّصر على الكفار. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِئَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾، وفي الآية الموالية انخفضت النِّسبة إلى (٥٠%) بين الأقليَّة المؤمنة والأكثريَّة الكافرة.. ﴿الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (الأنفال:٦٥–٦٦). أيضًا، ذكر القرآن الكريم عن طالوت وجنوده حين ندَبَهم إلى القتال، وذكَّرهم أنَّ نصر الله مع الفئة القليلة المؤمنة الصَّابرة: ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (البقرة:٢٤٩). وفي غزوة حُنَين، عتَب القرآن الكريم على الجيش المسلم، من أصحاب رسول الله (ص) اعتدادَهُم بكثْرَتهم، وكان ذلك أمرًا منافيًا لركيزة التَّوحيد والإيمان التي تفضي

[١] البنا، جمال. الإسلام وحرية الفكر، ص٢٢٠.

النَّصر والهزيمة إلى الله الخالق، وليس العَدَد والعُدَد؛ لذلك –وإنْ كانوا مجاهدين في سبيل الله، وفيهم رسوله– فإنَّ المولى قد تركَهُم لما اتَّكلوا عليه من دون الله؛ فمُنِيوا بالهزيمة في وجه المشركين.[١] عليه، فإنَّ هذه الحادثة تجلي العدل الإلهيَّ بين الأقليَّة والأكثريَّة في أظْهَر صوَرِه؛ إذ كان المشركون في تلك الغزوة أقليَّة؛ لكنَّهم انتصَروا؛ لأنَّ الأغلبيَّة (المسلمين) لم يتوكَّلوا على الله، وإنَّما على عددهم.

٣–٤ وجوب الخروج من حالة الاستضعاف

يأتي هذا الشَّرط بعد عدم القدرة على مقاومة الطُّغيان والاستبداد، وحينئذٍ، فإنَّ الواجب على الإنسان الهجرة والابتعاد عن موطن الظُّلم، واللِّحاق بموطنٍ آخر يستقوي فيه، وإلاَّ فإنَّ مُكثَه تحت الاستبداد تكريسٌ له، وإعطاءٌ لمزيد فرصة للظَّالم من التَّمادي في ظلمه. قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ (النساء:٩٧)، وقد حلَّ العذاب بأولئك المستضْعَفين؛ لأنَّهم رضوا بحالة الاستضْعاف والهوان. وفي تلك الحال، فإنَّ القرآن يأمر الأمَّة الإسلاميَّة بمقاطعة تلك المجموعة التي رضِيَتْ بهذه الحالة الدُّونيَّة مع وجود فرصة لتغيير البلاد. يقول القرآن: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ﴾ (الأنفال:٧٢).

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ﴾، (العنكبوت:٥٦)، يوضح الشنقيطي قوله: "الظَّاهر أنَّ معنى الآية: أنَّ الإنسان إذا كان في محلٍّ لا يتمكَّن فيه من إقامة دينه على الوجه المطلوب، فعليه أن يُهاجِرَ منه، في مناكب أرض الله الواسعة، حتى يجد محلاً تمكِّنه فيه من إقامة دينه، ". ثمَّ يصرِّح أنَّ الله تعالى قد أوضح هذا المعنى في غير هذا الموضع، كقوله

[١] ابن هشام، عبد الملك بن أيوب الحميري. (١٤١٠هـ/١٩٩٠م). السيرة النبوية لابن هشام. تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، بيروت: دار الكتاب العربي، ٣٧١/٤.

في آية ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ﴾، وزاد" "ولا يخفى أنَّ التَّرتيب بالفاء في قوله: ﴿فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ﴾ على قوله "إِنَّ أَرْضَ اللهِ واسِعَةٌ" دليلٌ واضح على ذلك".[١]

٣-٥ وجوب حماية الأقليَّات

إذا كان مبدأ حماية الأقليَّات (*Minority Protection*) من المبادئ الحديثة في الإعلان العالميِّ لحقوق الإنسان، فإنَّه مبدأٌ أساسيٌّ مُؤصَّلٌ أكَّد عليه القرآن الكريم في عدَّة مواضع، والحماية تشمل جميع الرَّكائز التي تتحدَّدُ بها هويَّة الأقليَّة من لغةٍ، ودينٍ، وثقافةٍ، ومصالح... إنَّ هذا المبدأ مفهومٌ في شجب القرآن –مثلاً– على الذين فتنوا المؤمنين من أصحاب الأخدود بالقتل، ووعيد الله –سبحانه– الشَّديد القَتَلةَ بعذاب جهنَّم، وعذاب الحريق، وعقَّب ذلك بأنَّ الله ذو بطشٍ شديد.. ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾ (البروج: ١٠). فههنا حالةٌ جدُّ سلبيَّة في تصرُّف الأكثريَّةِ تجاه الأقليَّة المستَضْعَفة، وما كان جُرْمُها –في نظر الأكثريَّة الظَّالمة– إلاَّ أنَّها آمنَتْ بالله العزيز الحميد.

حالةٌ أخرى أكثر دلالةً في حماية الأقليَّات، ألا وهي قصَّة ذي القرْنَين، وبناؤه لسدٍّ يأجوج ومأجوج؛ لمنع أولئك من بسط أذاهُمْ إلى جيرانهم، وفي الآيات التي وردتْ فيها تلك القصَّة إشاراتٌ مؤكِّدةٌ إلى حال الاستضْعاف والأقليَّة في القوم الذين وجَدَهُم ذو القَرْنَين في مطلع الشَّمس، وبالمقابل ما يشير إلى طبيعة الأكثريَّة، والقوَّة الطَّاغية والتَّعدِّي على الحقوق من لدُن يأجوج ومأجوج. (الكهف: ٩٢-٩٩).

مثالٌ ثالثٌ، يمكن الامتثال به في مَعْرض قصَّة موسى (عليه السَّلام) مع ابنَتَيْ نبيِّ الله شُعيب (عليه السَّلام)، فإنَّهما تمثِّلان الأقليَّة المسْتَضْعَفة في وجه "الرِّعاء" (القصص: ٢٣)، وقد كان الأحْرَى بأولئك إفساح المجال للمرأتَيْن بالسَّقي قبْلَهم، وإذْ لم يفعلوا، قام به موسى فسقى للمرأتَيْن. ومن نافلة القول إنَّ حماية الأقليَّة تكون تطَوُّعًا بدون أجرٍ تُلْزَمُ به الأقليَّة، وهذا المبدأ واضحٌ في القصَّتَين المذكورتَين.

---

[١] الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار. (١٤١٥هـ/١٩٩٥م). أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر، ٥١/٧.

من النَّظريَّة إلى التَّطبيق والتَّشريع، نجد أنَّ الإسلام قد أوْجَبَ على أتباعه التَّأهُّبُ لنصرة الأقليَّات المستَضْعَفة، وإعلان الجهاد على الطُّغاة الظَّالمين إذا لم يرتَدِعُوا عن اضطهاد المستَضْعَفين، وقد جاء هذا الأمرُ بأسلوب استفهاميٍّ إنكاريٍّ على المسلمين القاعدين عن هذا الواجب. قال تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا﴾ (النساء:٧٥). إجمالاً، فإنَّ حماية الأقليَّة –في العَدَد والعُدد– واجبٌ دينيٌّ لا يكمل إسلام المسلمين إلاَّ به، ولا عبرة هنا بمعتقد الرِّجال والنِّساء والولدان المستضعفين المضطهَدين.

٤– نماذج بشريَّة أقليَّة في القرآن

أورد القرآن الكريم نماذج عدَّة من الأقليَّات في التَّاريخ البشريِّ، وقد اتَّضح في تلك النَّماذج الكثير من المفاهيم السَّابق ذكرها، وفي الفقرات الآتية استعراضٌ لبعض تلك النَّماذج بحسب التَّرتيب الموضعيِّ في المصحف.

٤–١ قوم لوط

تمثِّل قصَّة قوم لوطٍ وجهًا من المواجهة بين الأكثريَّة المنحرفة، وبين الأقليَّة الملتزمة التي لا تألو جهدًا في الحفاظ على ثوابتها، وعدم الرُّكون إلى الاندماج أو الذَّوَبان.. ﴿إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ (الأعراف:٨٢؛ والنمل:٥٦). ولنا أن نقدِّر المعاناة التي لقيَتْها الأقليَّة من قوم لوطٍ، بموازنتها بمعاناتنا الحاليَّة من الأقليَّات الجنسيَّة "*Sexual Minorities*" من الشَّواذ، والمثليِّين وغيرهم، فهم –وإنْ كانوا أقليَّةً في زماننا– فإنَّهم كانوا أكثريَّة في زمان لوط.

٤–٢ الرَّجلان صاحبا الجنَّة

وردت إشارةُ القرآن إلى محاورة بين فَرْدَين: ﴿فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ (الكهف:٣٩). ، ولكنَّ إشارة أحدهما، وهو يفتخر على الآخر بكثرة المال، وعزَّة قومه، قد حوَّل السِّياق إلى مواجهةٍ بين الأقليَّة والأكثريَّة المهَيْمنة. وقد كانت العاقبةُ السَّيئة للأكثريَّة والنَّصرُ للأقليَّة المتوكِّلة على ربِّها.

٤–٣ شاهد الرُّسل الثَّلاثة

وردت قصَّة هذا الشَّاهد في سياق ضرب المولى مثلاً لأهل مكَّة أو للمؤمنين والمشركين أجمعين، وهو مثَل أصحاب القرية الذين بعث الله إليهم رسولَين اثنين فكذَّبوهما؛ فعزَّزهما الله بثالثٍ، فتمادى أصحاب القرية في التَّكذيب، وظهر هذا الشَّاهد من بينهم؛ بوصفه المؤمن الوحيد. ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾ (يس:٢٠–٢٩). فهذا الرَّجل –بموقفه هذا– يُعدُّ أقليَّةً هو والمرسلين الثَّلاثة، في وجه أصحاب القرية، وقد حاول مجادلتهم بقوَّة الحجَّة؛ فأعرضوا عنه، فنزل بهم ما نزل بهم من العذاب والهلاك. وشبيهٌ بهذه القصَّة، حالُ آل فرعون وموقفهم من المؤمن الوحيد الذي حاول جهده فتح بصائرهم لطريق الهدى.. ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ﴾ (غافر:٢٨–٣٤). ففي كلتا الحالتَين أقليَّة جدُّ ضئيلة مستضعفة في وجه أكثريَّةٍ مستكبرة متجبِّرة؛ لكنْ –كما سبق– فإنَّ العبرة في المفهوم القرآنيِّ للحقِّ، وليس للعَدَد والكثرة.

٤–٤ أصحاب الجنَّة (البستان)

يدلُّ سياق أصحاب الجنَّة الذين بيَّتوا منع المحتاجين من محصولهم، أنَّهم كانوا ثلاثة أو بضع رجال، وأنَّ الذي وُصِف من بينهم بـ"أوسَطهم"، كان يمثِّل أقليَّةً راشدة، حاول إرشادهم؛ فلم يسمعوا له، وحين حلَّ بهم العقاب، نصحهم بالتَّوبة العاجالة؛ فكانت النِّهاية السَّعيدة بسماعهم له، واستغفارهم مولاهم.. ﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ﴾ (القلم:١٧–٣٢). وههنا دلالةٌ واضحةٌ في إمكانيَّة قيام الأقليَّة الصَّالحة بتغييرٍ جذريٍّ في مصير الأكثريَّة، إذا أعطِيَت الأقليَّة حقَّها من الاعتبار.

٤–٥ أصحاب الأخدود

وردت قصَّة أصحاب الأخدود في الآيات في قوله تعالى: ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ﴾ (البروج:٤–١٠)، ولئن اختلف المفسِّرون في تحديد أصحاب الأخدود تاريخيًّا،[١] فالمصرَّح به في سياق الآيات في شأن

[١] قيل هم: قوم أحرقهم ملك حِمْير، أو من الحبشة، أو من بني إسرائيل، أو من بني تميم، وغير ذلك. ينظر: المحرر في التفسير الوجيز، ٥/٤٦١–٤٦٢.

أولئك، أنَّهم مجموعةٌ أقليَّةٌ مؤمنةٌ اضطُهدتْ بسبب إيمانها بالله. يقول ابن عطية: "وكان من قصَّة هؤلاء أنَّ الكفَّار قعدوا وضُمَّ المؤمنون، وعُرض عليهم الكفر، فمَنْ أبى رُميَ في أخدود النَّار؛ فاحترق".[١]

خاتمة ونتائج

تمثِّل قضيَّة الأقليَّة والأكثريَّة قضيَّةً محوريَّةً في الاجتماع الحديث، ولها تعالُقٌ بالكثير من النَّواحي الاجتماعيَّة والدِّينيَّة والاقتصاديَّة، وبمفاهيم المواطنة والحريَّات والحقوق. بناءً على ذلك، فإنَّ مفهوم الأقليَّة وتعريفها قد خضع للكثير من الأخذ والرَّد بين الباحثين، وبين الثَّقافات والعلوم. على خلاف ذلك، فإنَّ القرآن الكريم قد جلَّى هذا المفهوم، وإن لم يكن بالضَّرورة باستخدام مصطلح "أقليَّة/أكثريَّة" مباشرةً، وإنَّما بمصطلحاتٍ مقاربة، منها: شِرذمة، وشيعة، وطائفة، وعُصبة... وفوق ذلك، فإنَّ التَّنزيل الحكيم قد وضَّح مفاهيم وحقائق عن الأقليَّة والأكثريَّة، تسمو بهذه القضيَّة عن كونها مشكلةً ومعضلةً اجتماعيَّةً إنسانيَّةً إلى كونها ظاهرةً إيجابيَّة. أيضًا، فإنَّ التَّنزيل الحكيم قد صوَّر الكثير من نماذج الأقليَّات والأكثريَّات –إيجابًا وسلبًا– بناءً على مدى التزام الأقليَّة أو الأكثريَّة بالهدي الإلهيِّ، وبضوابط الحقِّ والصَّلاح.

إجمالاً، فإنَّ التَّنزيل الحكيم يقف موقفًا محايدًا من الأقليَّة والأكثريَّة، ويزنُ كلَّ فريقٍ بمدى اتِّباعه للحق، وأيُّ إجحافٍ في حقِّ الأقليَّة أو الأكثريَّة، فإنَّ التَّنزيل الحكيم يقف منه موقف المستنكر المندِّد، ويدعو إلى إزالة هذه الإجحاف وإلى إعادة الحقِّ إلى أهله؛ بصرف النَّظر عن الاعتبارات الدِّينيَّة، أو الاجتماعيَّة، أو الجنسيَّة للأقليَّة أو الأكثريَّة، وتلك ما قصُرت دونها المواقف البشريَّة.

المصادر والمراجع:

عبد الحق بن غالب الأندلسي. (١٤٢٢هـ/٢٠٠١م). المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. بيروت: دار الكتب العلمية.

الرازي، أبو الحسين أحمد بن فارس. (١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م). أفراد كلمات القرآن. تحقيق: حاتم صالح الضامن. دمشق: دار البشائر.

[١] عبد الحق بن غالب الأندلسي. (١٤٢٢هـ/٢٠٠١م). المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. بيروت: دار الكتب العلمية، ٤٦٢/٥.

الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار. (١٤١٥هـ/١٩٩٥م). أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر.

العمري، أحمد سويلم. (١٩٨٥م). معجم العلوم السياسية الميسر. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

القرضاوي، يوسف. (٢٠١٠م). في فقه الأقليات المسلمة. القاهرة: دار الشروق.

الكيالي، عبد الوهاب، وآخرون. (١٩٨٥م). موسوعة السياسة. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

المنصوري، مصطفى الخيري. (٢٠١١م). المقتطف من عيون التفاسير، تحقيق: علي الصابوني. مصر: دار السلام للطباعة والنشر.

نعمة، علي حيدر، ونعمة، أحمد علي. (٢٠١٣م). المعجم القرآني. بغداد: مطبعة السيماء.

ابن هشام، عبد الملك بن أيوب الحميري. (١٤١٠هـ/١٩٩٠م). السيرة النبوية لابن هشام. تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، بيروت: دار الكتاب العربي.

Brent, Edward E. and J. Scott Lewis. (2013). *Learn Sociology*. Jones & Bartlett Publishers.

Capotorti, Freancesco. (1991). *Study on the Rights of Persons Belonging to Ethnic, Religious, and Linguistic Minorities*, UN.

Cashmore, Ellis. *Encyclopedia of Race and Ethnic Studies*, Routledge.

Craig, Calhoun, et al. (1997). *Dictionary of the Social Science*, McGraw-Hill.

Minority rights Group Int (ed), (1989). *World Directory of Minorities*, Longman, xv.

Niomi, Lawman. (2005). *Sociology*, Lotus Press.

Oystein, Bohler. (2013). *Ethnic Minority Rule and Prospects for Violent Conflicts*, M.A Thesis, Dep. Of Comparative Politics, Faculty of Social Sciences, University of Bergen.

Rhona, smith, *Textbook on International Human Rights*, Oxford University Press.

Skutsch, Carl. (2005). *Encyclopedia of word's Minorities*, Routledge.

Subber Wal. (2009). *Dictionary of Sociology*, Tata McGraw-Hill Education.